المتغيرات الاجتماعية و النفسية المعاصرة و علاقتها بانتشار ظاهرة الإدمان بين الإناث فى المجتمعات العشوائية

لورنا عادل*

مقدمة

تعد مشكلة الإدمان والتعاطى من أهم المشكلات التى تشغل الدول جميعها سواء المتقدمة منها، أم النامية، لأنها ترتبط باقتصاديات هذه الدول؛ لذا حاولت الدراسات والأبحاث بيان أثر التعاطى والإدمان على شخصية الفرد، وأشارت النتائج إلى أن شخصية متعاطى المخدرات من الشخصيات غير السوية، والتى تنخفض كفاءتها الشخصية والاجتماعية.

فهذه الشخصية المدمنة لم تتكون إلا بتأثير المتغيرات الاجتماعية والنفسية، والعوامل البيئية، والوسط الذى يعيش وينمو ويتفاعل فيه الفرد، ويؤثر بوضوح فى تشكيل شخصيته ونموها. كما تؤثر المواقف الضاغطة المصحوبة بالفشل على الفرد؛ فتضعف قدرته التوافقية، وتجعله عرضة للانحراف السلوكى، كما يؤدى عدم إشباع المجتمع لحاجات الفرد، وعجزه عن الوصول به إلى حالة من الاتزان النفسى والاجتماعى، وتواجد الفرد فى مجتمع يفيض بالحرمان، والإحباط، وعدم الأمن، والتنافس الشديد بين الناس، وعدم المساواة إلى نمو سلوك غير سوى مضاد للمجتمع تعبيرًا عن رفض هذا المجتمع المحيط.

---

* ملخص رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، ٢٠١٦.

المجلة القومية لدراسات التعاطى والإدمان، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير ٢٠١٧.

يبرز فى خضم هذه المشكلة الخطيرة تزايد حجم تعاطى المخدرات بين الإناث فى الآونة الأخيرة فى الوقت الذى تمثل فيه المرأة نصف الطاقة البشرية الموجودة فى المجتمع، وأصبح لها دور بارز فعال فى المجتمع، حيث تهتم معظم الدراسات المصرية بدراسة التعاطى بين الذكور، وذلك على اعتبار أنه أكثر انتشارا بينهم، وهذا الاعتبار وإن كان صحيحًا فلا يعد كافيًا لتجاهل تعاطى الإناث، حيث إنه من الملاحظ فى الآونة الأخيرة، إننا بدأنا نجدهن يمارسن بعض السلوكيات المستحدثة، والتى لم نرها من قبل بهذا الشكل حتى أواخر التسعينيات من القرن الماضى مثل: الجلوس على المقاهى، وشرب الشيشة، وتدخين السجائر على الملأ، وغير ذلك؛ لذا أُجريت هذه الدراسة على الإناث فقط للتعرف على المتغيرات الاجتماعية والنفسية المعاصرة وعلاقتها بانتشار ظاهرة إدمان الإناث فى المجتمعات العشوائية.

مشكلة الدراسة

إن قضية المخدرات أصبحت تمثل اليوم خطرًا داهمًا يهدد كيان بل وإمكانية تقدم وتنمية أى مجتمع، ومن هنا ندرك حدة وخطورة هذه المشكلة الاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية وحجم الخسارة التى تعود على المجتمع.

وقد يكون للعديد من النظم الاجتماعية دور حقيقى وفعال فى إقبال بعض أبناء المجتمع على التعاطى والإدمان، لذلك لابد من معرفة الأسباب الحقيقية وراء انتشار المخدرات، وهناك العديد من المتغيرات الاجتماعية المهيئة للتعاطى مثل: أسلوب الشدة فى المعاملة، أو التفكك والمشكلات الأسرية، ووقوع الطلاق، وحدوث انحلال أخلاقى داخل الأسرة، وذلك فى ضوء ظهور مشكلة إدمان الإناث وما يتبعه من مشاكل عديدة داخل المجتمع وبوجه خاص فى المناطق العشوائية.

وتعتبر كارثة إدمان الإناث أخطر من إدمان الذكور ولم تعد المشكلة ظاهرة بل تحولت بالفعل إلى كارثة مرعبة بسبب هذا المرض الاجتماعى الخطير الذى يمكن أن ينتشر مثل الوباء ولا داعى أبدًا للتعامل مع مثل هذه الموضوعات بمنطق النعام.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية فى جانبين: الأول نظرى، والثانى تطبيقى:

أولًا: الأهمية النظرية

١- تسليط الضوء على بعض المتغيرات الاجتماعية والنفسية المعاصرة التى قد تدفع بعض الإناث فى المجتمعات العشوائية إلى الوقوع فريسة للإدمان أو التعاطى.

٢- تسليط الضوء على ظاهرة غاية فى الأهمية والخطورة، وهى ظاهرة الإدمان أو التعاطى؛ حيث إن حجم هذه الظاهرة زاد وتفاقم على المستويين المحلى، والدولى.

٣- توجيه نظر الباحثين والمتخصصين فى مجال علاج الإدمان أو التعاطى، إلى الأسباب الحقيقية التى تدفع بعض الإناث إلى الإدمان، والعمل على حمايتهن، ونشر الوعى حول مخاطر الإدمان، وعواقبه السلبية على الفرد، والمجتمع.

٤- توجيه النظر إلى خطورة المشكلات التى تعانى منها المناطق العشوائية، والتى يكون لها تأثير سلبى على حياة الأفراد وضرورة الحد منها.

٥- توفر الدراسة بعض المعلومات التى يمكن أن يستفيد منها العاملون والباحثون فى مجال الإدمان والعشوائيات، عند تناولهم مثل هذه الموضوعات من جوانب أخرى فى المستقبل.

ثانياً: الأهمية التطبيقية

١- إمكانية الاستفادة من نتائج الدراسة فى عقد دورات استرشادية وبرامج تدريبية لأسر الإناث فى المناطق العشوائية، يكون الهدف منها التعرف على الآثار السلبية للضغوط الوالدية، والمشكلات الأسرية على سلوك أبنائهم.

٢- حث المجتمع على الحرص على الاهتمام بهذه الفئة، حيث ترتفع النسبة فى أعداد المتعاطيات، الأمر الذى يتطلب سرعة التدخل واستقراء الإحصائيات المجردة حتى لا تضللنا الأرقام.

٣- اهتمام الدراسة الحالية بالإناث قد يتيح الاستفادة من طاقاتهن الكامنة واستثمارها بطريقة تسهل عليهن الانضمام للمجتمع كقوة فعالة.

٤- إمكانية الاستفادة من نتائج الدراسة فى عقد دورات تدريبية وإرشادية للإناث يكون الهدف منها رفع درجة الاستعداد لديهن لمواجهة المتغيرات الاجتماعية والنفسية، والتى يمكن أن يكون لها تأثيرات سلبية، وتدفع بهم للإدمان، والعمل على تعديل بعض الأفكار والاتجاهات السلبية لدى الإناث نحو هذه المتغيرات.

أهداف الدراسة

لكل دراسة هدف تسعى لتحقيقه وتسعى هذه الدراسة إلى التعرف على المتغيرات الاجتماعية مثل المستوى الاجتماعى، التعليم، المهنة، الحالة الاجتماعية، عدد أفراد الأسرة والمتغيرات النفسية وانعكاساتها على ظاهرة الإدمان بين الإناث فى المناطق العشوائية.

وينبثق عن هذا الهدف عدة أهداف فرعية هى:

١- التعرف على مراحل التورط فى تجربة التعاطى والإدمان.

٢- التعرف على المتغيرات الاجتماعية المعاصرة وعلاقتها بإدمان الإناث.

٣- الكشف عن المتغيرات النفسية المعاصرة وعلاقتها بإدمان الإناث.
٤- رصد ظاهرة إدمان الإناث فى المناطق العشوائية.
٥- إلقاء الضوء على الآثار الخطيرة التى يسببها إدمان الإناث.

تساؤلات الدراسة

لتحقيق أهداف البحث تم صياغة عدة تساؤلات على النحو التالى:
١- ما الظروف الاجتماعية التى يعيش فيها هؤلاء الإناث؟
٢- ما نوعية المعاناة فى المناطق العشوائية؟
٣- كيف انتشرت ظاهرة الإدمان بين الإناث فى المناطق العشوائية؟
٤- ما مراحل السقوط فى هوة الإدمان؟
٥- ما تأثير إدمان الإناث فى المناطق العشوائية عليهن وعلى أسرهن وعلى المجتمع؟
٦- ما المتغيرات الاجتماعية والنفسية المعاصرة وعلاقتها بإدمان الإناث فى المناطق العشوائية؟

عينة الدراسة

تتكون عينة الدراسة من مجموعة من الإناث تم اختيارهن مع مراعاة أن يمثلن مجتمعاتهن (المناطق العشوائية)، وكانت العينة عمدية من الإناث اللاتى يتعاطين المخدرات فى المناطق العشوائية.

منهج الدراسة

تعتبر الدراسة الحالية من الدراسات الوصفية والتى تستهدف استعراض المتغيرات الاجتماعية والنفسية المعاصرة وعلاقتها بانتشار ظاهرة الإدمان بين الإناث فى المجتمعات العشوائية.

هذا وقد تم استخدام كل من:

- منهج المسح الاجتماعى بالعينة كمنحى أساسى للبحث.
- المنهج الإحصائى لتحليل البيانات.

نتائج الدراسة

١- اتضح من خلال تتبع الحالات وجود بعض المتغيرات الاجتماعية التى لها علاقة بإدمان الإناث منها ضعف الرقابة الوالدية، التفكك الأسرى، الخلافات المستمرة داخل الأسرة، أصدقاء السوء، انتشار بعض المعتقدات الخاطئة حول تعاطى المخدرات، البطالة ووقت الفراغ، سهولة الحصول على المخدر، الغياب الأمنى، التهميش والفقر.

٢- وأظهرت النتائج الإحصائية وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى معنوية (٠,٠٥) بين عينة الدراسة، حيث بلغت قيمة الدلالة المعنوية (٠,٠٠١) لمتغير الأفكار والتصورات حول التعاطى مثل: (المخدرات تزيد من الميل نحو الجنس وتساعد على التفكير فى المشاكل، وتساعد على نسيان همومها، وتمنح الأنثى شخصية جذابة خفيفة الظل، وتساعد على الهروب من مواجهة المشاكل أيا كان نوعها، وتصور إن الهموم تحققت، وإن الأديان السماوية لا تحرم المخدرات).

٣- وقد بينت النتائج وجود بعض المتغيرات النفسية التى تدفع الإناث للوقوع فى دائرة التعاطى، مثل التقليد والمحاكاة وإثبات الذات، مما يؤكد تأثير الجماعة على الفرد وسلوكه وآرائه لدرجة تدفعه إلى محاولة إرضاء الجماعة.

٤- كما ارتبطت بمثيرات المشقة التى تواجههن فى حياتهن، مما قد يسهم فى دفعهن نحو الوقوع فى دائرة التعاطى والهروب، والتى تتمثل فى: الهروب من المشكلات الأسرية، والهروب من الأزمات العاطفية، والهروب من الظروف الحياتية وذلك من خلال الانغماس فى عالم اللاوعى.

٥- بالإضافة إلى انعدام المساندة الاجتماعية وعدم وجود حلول أخرى للتغلب على مشاعر القلق والإحباط، بجانب ضعف الإيمان، وعدم وجود القدوة، مما يدفع الفرد إلى عالم غيبى يتخيل فيه حلولًا لمشاكله ولو لفترة قصيرة، تبعده عن الإحساس بمشاعر القهر والحرمان.

٦- هذا بالإضافة إلى وجود القدوة السيئة فى الأسرة مثل الأب أو الأخ وخاصة الزوج الذى يدفع زوجته للدخول معه فى هوة الإدمان. فقد أظهرت النتائج الإحصائية أن (٤٨,٨٪) من أفراد عينة البحث تعاطين أول مرة عن طريق (صديقة) وهم الفئة الأكثر من أفراد البحث، فى حين أن(٣٦,٦٪)عن طريق (الزوج)، مقابل (٧,٣٪)عن طريق (القريبة)، مقابل (٢,٤٪) عن طريق (الجارة).

توصيات الدراسة

١- محافظة الآباء والأمهات على الاستقرار الأسرى، وذلك بتجنب التصدع المعنوى، وكذلك المحافظة على القدوة الصالحة داخل الأسرة، حيث اتضح أن الإناث أكثر تأثرًا بتصدع الأسرة من الذكور.

٢- توعية الإناث بصورة مستمرة عن طريق أجهزة الدولة المتمثلة فى وسائل الإعلام المسموعة، أو المرئية، أو المقروءة، بعواقب الانزلاق فى دائرة تعاطى المخدرات حتى لا يسهل انقيادها عن طريق محاكاة أحد أفراد عائلتها.
٣- ضرورة قيام الأهل بتحرى الدقة عند تزويج الفتاة، والتأكد من سلامة سلوك الشخص الذى يتقدم للزواج منها.
٤- الحرص على التوازن فى معاملة الإناث، حتى لا يصبن بأى من الاضطرابات النفسية وكذلك على الزوج أن يترفق فى معاملة زوجته وإبعادها عن هذا المجال.
٥- ضرورة اهتمام الآباء بالتنشئة السليمة للإناث ومتابعتهن فى مختلف أماكن تواجدهن حتى لا يقعن فى دائرة أصدقاء السوء.
٦- إقامة المؤتمرات والندوات الشعبية بهدف رفع درجة الوعى نحو مخاطر الإدمان وآثاره السلبية.
٧- عمل برامج وسياسات من شأنها تنمية الوازع الدينى كعقد دورات تدريبية يقوم فيها رجال الدين بالتوعية بمخاطر المخدرات.
٨- تشديد الرقابة على الصيدليات والتى قد توفر العقاقير والأقراص المخدرة للجمهور بدون وصف طبى.
٩- ضرورة مكافحة الأماكن التى يتم فيها توزيع وتعاطى المخدرات، حيث أثبتت الدراسة انتشار توزيع وبيع المخدرات فى المناطق العشوائية.
١٠- ضرورة عمل برامج بحثية عن حالات الانتكاس والعودة للإدمان، حيث أثبتت نتائج الدراسة فشل معظم الحالات فى العلاج.
١١- تقديم المعلومات والحقائق عن المخدرات والتعاطى غير الطبى لها كمقررات دراسية فى المدارس والجامعات، حيث أثبتت الدراسة أنه لا تزال توجد أوهام متعلقة بتعاطى المخدرات.

١٢- التحليل البنائى التاريخى للمناطق العشوائية والأحياء الشعبية، بهدف الوقوف على ثقافتهم وتقديم تفسير ثقافى للعديد من الظواهر التى من أهمها ثقافة المخدرات، مما يتيح اتساعًا واضحًا لمفهوم المناطق العشوائية التى تختلف من حيث التاريخ والظروف الطارئة والذى يؤدى بدوره إلى ظهور مشكلات اجتماعية أخرى بهذه المناطق التى تحتاج لجهود بحثية مستقبلية.

١٣- ضرورة تفعيل الدور المدنى والحكومى فى تغيير الأنماط السلبية فى المجتمعات العشوائية.

١٤- ضرورة وجود مشروعات بحثية دائمة للمناطق العشوائية، مما يساعد صانعى القرار بآليات تمكنهم من إجراء التغيير الشامل لهذه المناطق.

١٥- وضع تلك المناطق فى الاعتبار عند إقامة المشاريع فى الدولة، وذلك لتحقيق التوازن فى المجتمع.

١٦- إنشاء مشروع قومى لتنمية المناطق العشوائية من خلال الحكومة والجمعيات الأهلية، يهدف لتنمية فئة الأطفال والمراهقين والشباب لحمايتهم ضد مخاطر عدة كأصدقاء السوء والمعتقدات الخاطئة.. وغيرها من المخاطر التى تجعلهم عرضة للتورط فى الإدمان.